

خدمات الحجيج الصحية في المملكة العربية السعودية

في ضوء الوثائق البريطانية

١٩٥٧ - ١٩٥١

أ . م . د. خليل حمود عثمان الجابري

جامعة بغداد - كلية التربية - ابن رشد - للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

الملخص:

حظيت مواسم الحج بأهتمام الحكومة السعودية. فبعد استيلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود على الحجاز، واستقرار الوضع فيه، حاول تقديم افضل الخدمات للحجيج. ومع ذلك، ظل الوضع الصحي العام في حال يرثى لها بسبب افتقار المملكة العربية السعودية عامة الى العدد الكافي من الاطباء والمستشفيات، وانتشار الطب الشعبي فيه. وعلى الرغم من الجهود التي بذلت في سياق تلافي ذلك، فإن الفساد الاداري حال دون تحقيق نتائج مهمة، علما انه قدمت بعض الخدمات الصحية في حدها الأدنى الذي ساعد الحجيج على اداء مناسكهم من دون محاذير صحية. وقد حاولت منظمة الصحة العالمية الحد من انتشار الامراض والابوئة، بتشكيل لجنة للإشراف على تطبيق القواعد الصحية في موسم الحج، ضمت عدداً من الاطباء من بلدان العالم بما فيها المملكة العربية السعودية نفسها، فضلاً عن وصول استشاري الامراض التناسلية وممثل الصحة العالمية في الاسكندرية الطبيب المصري فتحي سليمان، لاجراء مسح ميداني عن انتشار الامراض التناسلية في الاراضي السعودية.

في الوقت نفسه أصدرت بلدية مكة تعليمات صحية تتعلق بمساكن الحجيج، اشتملت على شروط صحية وجب توافرها في المساكن المخصصة للحاج، في وقت أنذرت فيه المخالفين بغرامات حدد مقدارها على وفق نوع المخالفة. راقبت بريطانيا بدقة ما يجري في داخل الاراضي السعودية، بهدف رسم صورة واضحة عن الاحوال الصحية في المملكة، ليلاحظ أن مصر، مثلاً، سمحت لحجيجها بالذهاب الى مكة لأداء فريضة الحج بعد أن ابلغ علي شوشه، المدير الاقليمي لمنظمة الصحة العالمية، وزارة الصحة المصرية أن الاوضاع الصحية في الحجاز ملائمة لأداء فريضة الحج.

ناهيك عن عبور قرابة ٥٠٠٠ حاج باكستاني من البحرين الى المملكة ، رأى المصادر البريطانية ان مساكنهم لا تتوافر فيها الشروط الصحية المناسبة ، ولا سيما ان معظمهم سكن في مخيمات لا تتوافر فيها تلك الشروط.

لوحظ ان الحجاج الذين وصلوا الى مكة كانوا يحملون شهادات تطعيم ضد الجدري والكوليرا. مع ذلك، سجلت حالات وفيات بسبب ارتفاع درجات الحرارة، حتى مع استمرار العمل في وحدة الحجر الصحي. فالخدمات المرافقة لها لم تكن قد اكتملت بعد، فانتقدت التقارير البريطانية إقدام السلطات الصحية السعودية على اخذ عينات من براز الحجيج ولاسيما القادمون من الهند، كإجراء وقائي ، علماً أن الحكومة السعودية فرضت رسوماً على كل حاج يدخل الى المملكة، مما أضاف عبئاً مالياً عليه. وقد وصل عدد الحجاج الوافدين الى الكويت التي شيدت فيها محطة استقبال للحجيج ، تألفت من خيم اشتملت على الخدمات الطبية، ٢٠١٠ حاج . في الوقت نفسه، طلبت المملكة العربية السعودية من مصر تزويدها بعدد من الاطباء والمرضىين لحاجتها الى خدماتهم الطبية، وكان من المتوقع عقد اجتماع لمنظمة الصحة العالمية للبحث في الانظمة الضرورية للمراقبة الصحية للحجاج في مكة ومعرفة النقص الحاصل في الخدمات الطبية، بعد ان شككت الدوائر البريطانية بقدرة المملكة على افتتاح محطة الحجر الصحي في وقتها، وانتقدت الفساد المستشري في دوائر وزارة الصحة، وهو ما يفسر البعثات الصحية التي رافقت حجيج بعض الدول ، منها البعثة الطبية الماليزية التي وصلت الى مكة لغرض تقديم الخدمات الطبية للحجيج الماليزيين.

Pilgrims Health Services in the Saudi Arabia Kingdom in the Light of British Documents 1951 -1957

Assis Prof.Dr. Khalil Hmood Othman

Khalilaljabiri@gmail.Com

This study showed the importance of health services that should be available in the seasons of Hajj, which tried the Saudi Arabian government make available service to pilgrims , knowing that those seasons are very important to the Saudis for they make such a financial revenues to the treasury of the kingdom . And with those migrant numbers from various regions of the world , the need for medical services fast to curb the spread of diseases transitional especially . Britain was closely monitoring what is

going on inside Saudi territory , as the bodies of various diplomatic institutes , taken to monitor everything related to medical matters about the pilgrims of the house of God , brought to light a lot on arrivals from areas within the department of the British interest , noting the British cast doubt on maintaining the health of pilgrims and reduce the spread of diseases among them , and their ability to make available usual quarantine rooms for expatriates , moved the reports , for example , the United States to provide aid for pilgrims own . At the same time following activity of Malaysian Medical Mission traveling from Mecca and services provided to the pilgrims .

المقدمة

حظيت مواسم الحج باهتمام كبير من مسلمي العالم . ومن جانبها ، أولت الحكومة السعودية تلك المناسبة أهمية واضحة، بصفتها ركناً مهماً من أركان الإسلام الخمسة ، ناهيك عن المكانة المعنوية للمملكة نفسها ، فضلاً عن المكانة التي حظيت بها المملكة في العالم الإسلامي، والتي أوجبت عليها بذل الجهود الاستثنائية لانجاح المناسبة على أكمل وجه. وإذا ما اخذنا بالحسبان ما لتلك المواسم من فوائد مالية تجنيها المملكة من خلال رسوم الحج المفروضة على الحجاج، التي تقدر بأكثر من ثلاثين مليوناً من الريالات للموسم الواحد، يمكن القول إن تلك الرسوم شكلت مورداً لا يمكن التقليل منه. وهذه المواسم بحد ذاتها بها حاجة ماسة واضحة الى رعاية خاصة، ولاسيما الخدمات الصحية الواجب توافرها في داخل المملكة للمحافظة على ارواح الحجاج، وفي الوقت نفسه، الحد من انتشار الامراض الانتقالية التي تشكل خطراً يؤخذ بالحسبان من الاوساط الطبية.

مع ذلك ، لم تكن المملكة العربية السعودية على الرغم من نشاطها في هذا الجانب، وبحسب المصادر البريطانية التي كانت تراقب عن كثب كل ما يجري في داخل الاراضي السعودية، ومستلزمات الحجاج، وحركتهم في مناطق تقع ضمن دائرة الاهتمام البريطاني، راضية الرضا كله - كما يبدو - عما كان يقدم من خدمات صحية للحجاج، اذ انتقدت تلك الدوائر، بشكل صريح، ما قدم من خدمات، ورأت انها لم تكن بالمستوى المطلوب، بل شككت في احيان اخرى بمصداقية وجود الخدمات نفسها.

قسمت الدراسة على ثلاثة محاور، ركز المحور الاول منها على اهمية مواسم الحج في المملكة العربية السعودية، ووضح المحور الثاني الموقف البريطاني من الاجراءات

السعودية في موسم الحج، في حين عالج المحور الاخير أعمال البعثة الطبية الماليزية المتوجهة الى مكة المكرمة.

استمدت الدراسة معظم مصادرها من الوثائق البريطانية، فضلاً، عن بعض المصادر التي ثبتت في قائمة المصادر.

أولاً / أهمية موسم الحج في المملكة العربية السعودية:

حظيت موسم الحج بأهمية كبيرة من لدن الحكومة السعودية، إذ حاول عبد العزيز منذ استيلائه على الحجاز عام ١٩٢٥، ثم مبايعته ملكاً على الحجاز وسلطاناً على نجد وملحقاتها في الثامن من كانون الثاني ١٩٢٦، تقديم الخدمات كافة التي تسهل على الحجاج اداء مناسكهم بسهولة ويسر، وبما متاح من الامكانيات المالية آنذاك^(١).

وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها السلطات السعودية بشأن الاوضاع الصحية للحجاج، ومحاولاتها تقديم افضل الخدمات الصحية لهم، كان الوضع الصحي العام في حال يرثى لها، إذ ان معظم السكان، كانوا يعانون من امراض مختلفة، في الوقت الذي افتقرت المملكة نفسها، الى الأعداد الكافية من الاطباء والمستشفيات والمستوصفات^(٢)، آخذين بالحسبان ان أغلبية مناطق المملكة كانت تفتقر الى وجود طبيب او ممرض أو صيدلية، مع ملاحظة انتشار الطب الشعبي، الذي اعتمد بالدرجة الاساس على الاعشاب، والايحاء النفسي، فكان سائداً بين السكان، ولاسيما الفقراء منهم^(٣)، فضلاً عن كثير من مناطق الحجاز الذي كان سكانه عرضة الى الاصابة بالامراض المختلفة خلال موسم الحج^(٤).

سعت الحكومة السعودية، بعد ان تحققت لها وفرة مالية نتيجة لتدفق النفط، الى تقديم أفضل الخدمات الصحية للحجاج، إلا ان قلة الكوادر، وسوء الادارة، قد حالاً دون ان تكون الخدمات الصحية بالمستوى اللائق، ولاسيما أن اعداد الحجاج كبيرة وتحتاج الى ادارة كفؤة وخدمات كبيرة، وجهد مضاعف، وتمثلت الخدمات التي وافرتها السلطات السعودية لهم، بانشاء المظلات الواقية من أشعة الشمس في أماكن متعددة، ونشر عدد من سيارات الاسعاف، لتقديم الخدمات الصحية لهم، كما جابت الشوارع سيارات مهمتها رش مادة مطهرة(حامض الفينيك) لقتل الجراثيم التي عادة ما تنتشر في أماكن وجودهم^(٥).

وبسبب ارتفاع درجات الحرارة في موسم الحج - غالباً - فان كثيراً من الحجاج كانوا عرضة الى الاصابة بضربة الشمس، ولذلك، فقد سعت الحكومة السعودية، بما متوافر

لها من موارد مالية، الى العمل على إنشاء "حمامات تُلج" يوضع فيها المصاب مدة قصيرة للتخلص من ضربة الشمس^(٦).

بيد ان كثرة الحجيج، في موسم ترتفع فيه درجات الحرارة، اظهرت الحاجة الماسة الى مساعدات طبية سريعة ومكثفة، اذا ما اخذنا بالحسبان، ان أولئك الحجيج قادمون من اماكن مختلفة، ولربما، فيها امراض مزمنة، لذلك شكلت منظمة الصحة العالمية (World Health Organization)^(٧)، في محاولة منها للحد من انتشار الامراض والابوئة بين الحجيج، ولاسيما في موسم الحج السنوي، لجنة للاشراف على تطبيق القواعد الصحية في الموسم ، من عدد من الاعضاء ، وهم :

رشاد فرعون، من المملكة العربية السعودية رئيس اللجنة، الدكتور محمود احمد نصر، مصر، العقيد أم. جعفر (M. Gaafar)، باكستان ، الدكتور شيري راجا (Shary Raga) الهند، الدكتور مأمون الراشد كوسما ديلاكاً (Maamoon Kosmadilaga) اندونيسيا، الدكتور دو كاريدي لاريفي (Du Gareed De La Revier) فرنسا، الدكتور أس. فان دين برغ (S.Van den Burg) هولندا، الدكتور غين بادو (Geen Bado) المملكة المتحدة ، البرفيسور جيوفاني كانبيرا (Geovanni Kannabera) ايطاليا، الدكتور سادات منير، سوريا ، الدكتور دينجيسفانك (Sfasti Daingis fang)، سيام^(٨).

وفي السياق نفسه، تابعت السفارة الامريكية في جدة ، نشاط الحكومة السعودية في هذا الجانب في سياق عام لا خاص ، فقد اشارت احدى تقارير السفارة الامريكية في جدة المؤرخ في السابع من حزيران ١٩٥١، ان الدكتور فتحي سليمان، الاستشاري في الامراض التناسلية، وممثل منظمة الصحة العالمية في الاسكندرية، وصل الى جدة لاجراء مسح ميداني عن انتشار الامراض التناسلية في المملكة العربية السعودية^(٩)، مشيراً الى ان جهوداً كبيرة تبذل في هذا السياق لايجاد السبل الكفيلة والناجحة لمكافحة الامراض التي اخذت بالانتشار في المملكة، اذا ما اخذنا بالحسبان الاعداد الكثيرة القادمة من بلدان مختلفة، التي لربما كانت السبب في ذلك ، مع أنه وضعت خطط لمكافحة تلك الامراض^(١٠).

من جانبها، سعت المملكة العربية السعودية، الى اتخاذ الاجراءات الكفيلة لمواجهة اي طارئ قد يحصل في موسم الحج، فقد اصدرت بلدية مكة، تعليمات صحية تتعلق بمساكن الحجيج، التي تستخدم في موسم الحج، وافقت عليها الحكومة السعودية. وأوجبت تلك التعليمات ملاحظة كل مسكن يخصص للحجيج للتأكد من توافر الشروط الصحية المطلوبة فيه ، ناهيك عن تأليفها لجنة صحية تألفت من مندوبين عن مجلس الصحة

المحلي، ومنظمة الطواف السعودية، ومنظمة الطواف الهندي، ومديرية الشرطة في المملكة، ولجنة الحاج التي أخذت على عاتقها تدقيق عدد الحجيج الذين يسكنون في الغرف المخصصة لهم^(١١)، محددة مساحة الغرف على اساس مترين لكل غرفة، كما شددت على أن تكون الجدران مبيضة بالجص، وأن تكون ارضيات المرافق الصحية من الاسمنت، فضلاً عن استخدام المبيدات الصحية، ومنعت استخدام الغرف لطبخ الطعام، محذرة من أنها ستفرض غرامة على المخالفين بعد ان يندروا عن طريق التبليغ قبل فرض الغرامة، على ان يكون مقدار الغرامة خمسة ريالاً للمخالفة الاولى، و ١٠ ريالاً للمخالفة الثانية، وفي حالة تكرار المخالفة، ترفع القضية الى الملك، مشيرة الى أن دفع الغرامات يكون حصراً في وزارة المالية، ويزود دافع الغرامة بإيصال دفع^(١٢)، وأنها ستكون مسؤولة عن تطبيق تلك التعليمات، وأنها ستتبع القواعد والتعليمات المعمول بها من قبل المجالس والمنظمات العالمية^(١٣).

ثانياً / الموقف البريطاني من الاجراءات السعودية في موسم الحج:

اتخذت الحكومة السعودية اجراءات متعددة بهدف انجاح موسم الحج السنوي، وتقديم الخدمات الملائمة التي تسهم - بحسب تقديرها- في انجاح هذه المناسبات. في هذا السياق، لم تكن الدوائر البريطانية بعيدة عما يجري داخل الاراضي السعودية، والاجراءات التي تتخذها تلك الحكومة بهذا الشأن، فضلاً عن مراقبة ما يجري من نشاطات دبلوماسية اخرى، ولاسيما أنها أرادت رسم صورة عما يجري، اذا ما اخذنا بالحسبان أن اعداداً غير قليلة من الوافدين الى الأراضي السعودية كانوا من الرعايا البريطانيين، وهذا امر مهم بالنسبة لبريطانيا.

واستناداً لذلك، فقد نقلت الدوائر البريطانية تقريراً للسفارة الامريكية في القاهرة بتاريخ السادس عشر من آب ١٩٥١، كشفت فيه ان علي شوشه، المدير الاقليمي لمنظمة الصحة العالمية، أبلغ أحد موظفي السفارة، أنه أجرى مباحثات مع وزير الصحة المصري، اسفرت عن اتخاذ الوزير المصري قراراً بالسماح للحجيج المصريين بالذهاب الى مكة المكرمة، وأن قراراً اتخذ بتسمية احمد حمزة باشا، وزير التموين، أميراً للحج للعام نفسه، في حين شرع شوشه نفسه ، بابلاغ جميع البلدان الاسلامية أن الاوضاع الصحية في الحجاز ملائمة لأداء فريضة الحج^(١٤).

وأوضح التقرير نفسه، أن وزارة الداخلية المصرية، أعلنت عن موعد مغادرة مجموعتين من الحجاج المصريين بتاريخ السابع والثامن عشر من آب. وطبقاً للاعلان نفسه، فقد كشف وكيل الوزارة، أن قرابة ٢٠,٠٠٠ حاج سيغادرون هذا العام الى الاراضي السعودية وأن الحكومة المصرية

بذلت جهوداً كبيرة لحث شركة مصر للملاحة البحرية (Miser Navigation Company) على زيادة عدد سفنها، من سفينتين الى ثلاثة سفن لنقل الحجيج. علماً أن كل من السفينتين المستعملتين في نقل الحجيج، يمكن ان ينقل ما مجموعه ٤٠٠٠ حاج، من اصل ٣٠٠٠-٤٠٠٠ حاج يتوقع سفرهم جواً^(١٥).

من جانب آخر، بين تقرير رئيس قسم الحجر الصحي البريطاني في البحرين، أن قرابة ٥٠٠٠ حاج عبروا من البحرين متجهين نحو المملكة العربية السعودية، من بينهم ٣٠٠٠ حاج من باكستان، سافروا عن طريق الجو على وفق ترتيبات اجرتها شركة يونفرسال اكسبريس (Universal Express) التي مقرها كراتشي، وأن معظم الحجيج عاشوا ظروفاً صعبة جداً ومعظمهم سكنوا في مخيمات غير مناسبة بانتظار سفرهم الى المملكة، واحتجز قرابة ٢٠٠ افغاني ومنعوا من السفر الى المملكة، وأن عدد الحجيج الباكستانيين الذين تقطعت بهم السبل في المملكة، أعيدوا بالسفن الى البحرين من الحكومة السعودية. وقد اتخذ الوكيل السياسي البريطاني في البحرين الاجراءات المناسبة بهدف اعادتهم الى وطنهم، وعلى نفقة حكومة باكستان^(١٦)، وأن الحجاج الذين وصلوا كانوا مزودين بشهادات تطعيم ضد الجدري والكوليرا، ولم ترصد بينهم أية حالة مرضية، إلا أن هناك حالات وفيات بين كبار السن، ممن كانوا يعانون من ارتفاع في درجات الحرارة اثناء الرحلة، وسجلت حالة وفاة واحدة على متن الطائرة المتجهة من المملكة الى البحرين^(١٧).

تابعت السفارة البريطانية في جدة، الاجراءات التي اتخذتها الحكومة السعودية بشأن الحجيج الموجودين على اراضيها، فقد كشف تقرير السفارة المؤرخ في السادس من نيسان ١٩٥٢، أن العمل مستمر في محطة الحجر الصحي في جدة، وأن بناء عدد من المساكن قد اكتمل، الا ان الخدمات المرافقة لذلك البناء لم تكتمل بعد. وتوقع التقرير أن لا تكتمل تلك الاعمال قبل موسم الحج، مشيراً الى أن السفارة البريطانية لا علم لها بمناقشات "منظمة الصحة العالمية" بشأن الترتيبات الصحية في موسم الحج، أو اي شيء قد تعهد به السعوديون بهذا الصدد، وأن السلطات السعودية لم تلتزم ببناء تلك المحطة، أو أية محطة حجر صحي أخرى على الاطلاق، ليثبت أن تلك السلطات قد تعهدت بتلقيح الحجيج الذين لا يملكون شهادات تلقيح سارية المفعول، إذ حصل تأخير واضح في عملية التطعيم ضد الامراض، ويعزى السبب في ذلك الى تأخر وصول سفن الحجيج، واعترف التقرير بأن في الهند وباكستان والملايو، خدمات صحية كفوّة، أما اندونيسيا فلا تتوافر اية معلومات عن أوضاع الحجاج فيها.

في موضوع اخر، اشار التقرير نفسه الى ان مسؤولي الخدمات الصحية كانوا قلقين بشأن الاخطار المتوقعة عن الامراض المزمنة، ففي عام ١٩٥٠ أصر السعوديون

على أخذ عينات من براز جميع الحجيج القادمين من الهند، وبحسب التقرير نفسه، عُدَّ الاجراء " مخالفة لاتفاقية الصحة العالمية"، كذلك التأخير في النقل وحركة السفن، ناهيك عن أن السعوديين كان لديهم الوقت الكافي لارسال الحالات المرضية الى كمران^(١٨) أو الطور^(١٩) أو سواكن^(٢٠)، كما أنهم رفضوا وضع الحجيج المصابين في الحجر الصحي. واستطرد التقرير نفسه بالقول: "تعتقد بوجود أن يكون السعوديون قادرين على إيجاد مأوى كافٍ لهم سواء تم الانتهاء من محطة الحجر الصحي أم لا"^(٢١).

والجدير بالذكر ، ان البريطانيين شخصوا في التقرير نفسه، أن السلطات السعودية أهتمت فقط بالعائدات " الرسوم" التي تستوفى من الحجيج، " من دون ان تكلف نفسها مشقة السهر على راحتهم، وأنهم " قاسين جداً مع الحجيج، فضلاً عن ذلك ، أنهم لا يبالون بتأخير السفينة على الرغم من اتفاقية الصحة العالمية، اذا ما اعتقدوا بأنها تناسب غاياتهم"، مشيراً الى "أن وجود بعثة صحية لمنظمة الصحة العالمية ضروري جداً لإبداء النصيحة للسعوديين بشأن الاجراءات المتخذة لرعاية للحجيج"^(٢٢).

في هذا المجال ذكرت الوثائق البريطانية التي تعود الى المرحلة نفسها ، الضوء على الحجيج المتوجهين الى مكة، وفصلت في اوضاعهم وحالاتهم الصحية بشكل دقيق في منطقة الخليج العربي . فقد كشفت رسالة المقيم البريطاني المؤرخة في الثاني عشر من مايس ١٩٥٢، أن عدد الحجيج الواصلين الى الكويت(الترانزيت) بلغ ٢٠١٠، منهم ٧٥٦ سافروا عن طريق البر و ٢٥٤ سافروا جواً. وفي هذا السياق، تم تشييد محطة مكونة من خيم تقدم فيها الخدمات الطبية ضمن حدود المدينة، مع موافرة الطعام، كما تم فحص جميع الوافدين من موظفي صحة الميناء قبل دخولهم المدينة، وزودوا بشهادة طبية ضد الامراض ، ولاسيما الجدري والكوليرا. ولم تكشف اية حالة مرضية، سوى حالة وفاة واحدة نجمت عن السكتة القلبية بسبب الشيخوخة. كما ادخل عدد من الحجيج الى المستشفى بسبب معاناتهم من حالات مرضية، ومن هؤلاء ٣٣ حاجاً صينياً، ٣ حاجات جزائريين بقوا في الكويت بانتظار عودتهم الى بلادهم. وأشارت الرسالة الى وجود ٨٥٠ حاجاً من باكستان في "امارات ساحل عمان"، سافر ٦٤٧ منهم جواً، والآخرين سافروا عن طريق البحر، وأنهم " كانوا منظمين ويحوزتهم شهادات تلقيح ضد الامراض"^(٢٣).

تابعت الدوائر البريطانية أمور الحج بشكل دقيق، ومن الملفت للنظر، أن الدبلوماسيين البريطانيين لم يتركوا صغيرة أو كبيرة إلا وسلطوا الضوء عليها. فقد نقلت لنا تلك الدوائر أن الحكومة السعودية الغت ضريبة الحج المفروضة على الحجيج. وشكك البريطانيون بنوايا السعوديين، فقد جاء في تقرير صادر عن رئيس هيئة موظفي الصحة في ميناء لندن بتاريخ السادس من آب ١٩٥٢، ما نصه: " الأكيد أن كل قرش يملكوه [الحجيج] سوف يؤخذ منهم

بطريقة أو بأخرى قبل ان يعودوا من جدة الى بلادهم"^(٢٤). مشيرا الى أن مصر سترسل ٤٠ وعدداً من الممرضات الى المملكة العربية السعودية، بناءً على طلب الاخيرة، فضلاً عن العقيد ليفز (Colonel Levis) (لم يذكر التقرير صفته الرسمية) الذي سيكون واحداً من البعثة، وإن السعوديين تولوا، لأول مرة، زمام السيطرة على الحجر الصحي للحجيج من دون دعم خارجي لتفادي انتشار الامراض الوبائية^(٢٥).

لم تقتصر المتابعة البريطانية للحجاج والمتعلقة بشؤون الحج على الساحة السعودية، ولاسيما في موسم الحج، في منطقة الخليج العربي، بل تعدى ذلك الى السفارة البريطانية في اندونيسيا، التي تابعت بدورها شؤون الحجاج الاندونيسيين. ففي برقية السفارة المؤرخة في الثالث والعشرين من تشرين الاول ١٩٥٢، ورد أن هناك حالات وفيات حدثت بين الحجيج، فقد توفي ٢٢٥ حاجاً اندونيسياً من أصل ١٢,٠٠٠ الف حاج قدموا الى مكة في موسم الحج لعام ١٩٥٢- طبقاً لمعلومات وزارة الاوقاف الاندونيسية- وذكرت "أن ازدياد عدد الحجيج الاندونيسيين يعكس بشكل صحيح الحالة الاقتصادية التي يعيشها هذا الارخبيل"، واذا استمر التدهور الاقتصادي فان الاعداد سوف تقل في العام التالي^(٢٦) بحسب البرقية نفسها.

لم تتوان الدوائر البريطانية عن متابعة شؤون الحج والوقوف عند الحالات الضرورية، ولاسيما ما يتعلق بصحة الحجيج. فقد كشفت برقية وزارة الخارجية البريطانية المؤرخة في التاسع والعشرين من ايلول ١٩٥٣، أن "منظمة الصحة العالمية" تتوي عقد اجتماع خلال الدورة السابعة للجمعية العمومية للمنظمة التي ستعقد عام ١٩٥٤، للتحاثل في شكل الانظمة الضرورية للمراقبة الصحية، ابتداءً من الشروع في البناء، والتجهيزات من ماء، مجاري، اضاءة، الفريق الذي يعمل فيه، وعن الاعمال التي يقوم بها^(٢٧). ويبدو من ذلك، أن المنظمة ارادت الاطمئنان على الاوضاع الصحية للأعداد الكبيرة من الحجيج الذين يفدون على مكة، ومعرفة النقص الحاصل في الخدمات الطبية المقدمة لهم ، ومحاولة تقاديه بموافرة الحاجات الضرورية الخاصة بالخدمات الصحية، لتفادي الامراض المستوطنة التي قد تنتشر في موسم الحج، والتي من المحتمل انتقالها الى أماكن أخرى من العالم مما يضعها في احراج كبير.

تابعت السفارة البريطانية في جدة بكل دقة ما يجري على الاراضي السعودية بشأن الحجيج، والاجراءات التي تتخذها الحكومة السعودية والقائمون على شؤون الحج، ولاحظت السفارة ان هناك نقصاً واضحاً في الخدمات الصحية، وان كثيراً من تلك الخدمات الضرورية غير متوافرة. فقد شككت برقية السفارة في جدة المؤرخة في

السابع عشر من تشرين الأول ١٩٥٣، بافتتاح محطة الحجر الصحي في موعدها المحدد، وأن المعلومات التي ذكرت عن انجازها لم تكن دقيقة، بل لم يحصل شيء من ذلك، وأن كثيراً من المستلزمات الضرورية لم تتوافر بعد، مثل الماء والطاقة الكهربائية التي لم يجر العمل على موافقتها، وهي عبارة عن مولدة تحمل باليد مخصصة أصلاً لوحدة الاشعة (X-Ray) أعيد تصليحها وادخالها الخدمة من موظفي "تي.سي.ايه" (T.C.A) [Trinity Christian Academy Mission^(٢٨)]، مشيرة الى أن السلطات السعودية المختصة لم تزود مباني الحجيج بالطاقة الكهربائية من مدينة جدة، ولم تبذل جهداً بشأن نصب مولد كهربائي خاص. وأن "وزارة الصحة أوقفت اعمالها تماماً، والوزير خارج البلاد، وقد استشرى فيها الفساد الداخلي، وهي عاجزة عن طرح العطاءات او اتخاذ خطوات بناءة، كما أن بعض الابنية القديمة آيل للسقوط وقد يؤدي الى خسائر بشرية جديدة"^(٢٩).

تابعت الوثائق البريطانية عن كثب تطورات اوضاع الحجيج، فقد جاء في رسالة السفارة البريطانية في جدة في الثالث عشر من آذار ١٩٥٤، ان السلطات السعودية أهملت محطة الحجر الصحي، ولم تتخذ الاجراءات اللازمة حيال ذلك، فتوقعت، على وفق ذلك التأخير، أن لا تكون المحطة جاهزة قبل موسم حج عام ١٩٥٤، وخلصت الى الآتي: "كنا مندهشين عندما قرأنا ما جاء في تقرير نشر في صحيفة البلاد السعودية بتاريخ ١٥ شباط، من أن الحكومة السعودية خصصت مبلغاً مقداره مليوني ريال لتجهيز المحطة، مع العلم ان منظمة الصحة العالمية هي التي خصصت مبلغاً مقداره ٣٢,٠٠٠ الف دولار لتجهيز المحطة، لتكون جاهزة لموسم حج عام ١٩٥٤"^(٣٠)، ومن الجدير بالاشارة، ان السفارة البريطانية في جدة، تابعت مسألة المساعدات الامريكية التي قدمتها واشنطن للحكومة السعودية في العام نفسه، ووضحت في رسالتها التي بعثتها الى وزارة خارجيتها الى أن الولايات المتحدة الامريكية قدمت دعماً من نوع آخر، اذ عرضت على السعوديين تزويدهم بغرف التنقية مع أوعية تعقيم، ومراجل غليان ١٠٠٠ الخ، بكلفة بلغت ١٠٠,٠٠٠ دولار، وهو عرض قبله السعوديون بكل سرور، كما كلف برنامج "النقطة الرابعة"^(٣١) الامريكي بترتيب الابنية لكي تكون جاهزة لنصب الاجهزة الطبية فيها، بعد مطالبة السعوديين باجراء بعض التغييرات في البناء. "وكعادتهم، قال السعوديون نعم، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً"، ولذلك ابلغهم الامريكيون، أن المعدات الامريكية، لن تشحن الى السعودية، ما لم يقتنعوا أن محطة الحجر الصحي ستكون جاهزة تماماً^(٣٢).

ونتيجة للضغوط التي مارستها "منظمة الصحة العالمية"، بشأن الخدمات الصحية الواجب توافرها في مكة المكرمة، فقد الغى المؤتمر التاسع للجمعية العمومية للمنظمة المنعقد في جنيف في الأول من كانون الثاني ١٩٥٧، جميع اللوائح الخاصة بالحجيج بعد

التحسينات التي طرأت على الخدمات الطبية في الشرق الاوسط، والانتهاء من بناء مركز للحجر الصحي في جدة، إثر زيارة قام بها عدد من خبراء المنظمة الى المملكة العربية السعودية، وتفقدهم المركز، ورفعهم تقريراً أكد تحسن اداء المسؤولين فيما يتعلق بأمر الحج. ولذلك قررت المنظمة ازالة القيود الخاصة، مما سهل على الحجيج اداء شعائرتهم الدينية بسهولة ويسر^(٣٣). وفي الاحوال كافة ، ساعدت تلك الاجراءات الى حد ما، على زيادة البعثات من ارجاء العالم المختلفة الى مكة المكرمة.

ثالثاً / البعثة الطبية الماليزية الى مكة المكرمة:

واصلت الهيئة الدبلوماسية البريطانية متابعتها بكل دقة لشؤون الحج والخدمات المقدمة سواء داخل الاراضي السعودية أم في أماكن أخرى تقع ضمن دائرة الاهتمام البريطاني. ووضحت الوثائق البريطانية تفاصيل عن البعثة الماليزية التي توقعت مغادرتها ماليزيا على متن السفينة "أنشون" (Anshun) في السابع والعشرين من آذار ١٩٥٧، على أن تصل في الثامن من نيسان من العام نفسه.

وذكرت المصادر البريطانية تفاصيل عن اسماء وعنوانات ومناصب اعضاء البعثة

الماليزية^(٣٤)، على النحو الموضح في الجدول الآتي:

الجدول (١) اعضاء البعثة الماليزية

مكان وتاريخ الولادة	الجنسية	المنصب	الاسماء
سيلانكور ١٩١٤	ماليزي	طبيب	١- راجي عباس بن حاجي الياس
شمال سمبليان ١٩١٦	ماليزي	مساعد مستشفى	٢- محمد راجي بن محمد جالي
سيلانكور ١٩١٢	ماليزي	مساعد مستشفى	٣- سيد اسماعيل بن سيد كريم
بينانك ١٩٢٤	ماليزي	مساعد مستشفى	٤- محمد بن حاجي سراج
ترينكانو ١٩٢٣	ماليزي	مساعد مستشفى	٥- سيد حسن بن سيد علوي
بينانك ١٩٣٠	ماليزي	كادر تريض	٦- كاماريه بنت داروس
سيلانكور ١٩٢٥	ماليزي	مساعد ممرضة	٧- سوم بنت محمد نور
كواد ١٩١٨	ماليزي	خادم المستشفى	٨- عبد القادر بن سعد
ملاكة ١٩٢٠	ماليزي	خادم المستشفى	٩- محمد يتم بن محمد منان
ترينكانو ١٩٢٩	ماليزي	خادم المستشفى	١٠- عبد الغني بن اسماعيل
جوهر ١٩١٥	ماليزي	خادم المستشفى	١١- إنشي سومون بن حاجي عمر
ترك ماليزيا عند انكناك في ١٩٥٧/٦/١٠	ماليزي	مندوب الحج	١٢- حاجي مختار ياسين
ترك ماليزيا عند انشون في ١٩٥٧/٥/٢	ماليزي	طباخ	١٣- حاجي علي بن حاجي ابراهيم
	ماليزي	ضابط الرعاية الفخرية	١٤- الشريف توان حاجي عبدالرحمن بن حاجي عثمان (قاضي صلح)

	ماليزي	ضابط الرعاية الفخرية	١٥- الشريف تون شيخ محمود بن حاجي نوح
ترك ماليزيا عند انشون ١٩٥٧/٦/٣	ماليزي	ضابط الرعاية الفخرية رئيس طائفة المسلمين في الدولة	١٦- تون حاجي محمد صالح بن حاجي اوانكك
ترك ماليزيا عند انشون في ١٩٥٧ /٦/٣	ماليزي	وترنكانو ورئيس مستشاري لجنة الحج	١٧- الشريف داتو قمر الدين بن حاجي ادريس، وسام الامبراطورية البريطانية(مجلس المسلمين في بريطانيا)

وكشفت البرقية نفسها، عن ان اعضاء البعثة الطبية من التسلسل ١-١١ بحوزتهم ثلاث صور فوتوغرافية مع شهادات الخبرة بالنسبة للاطباء، فضلاً عن مساعدي المستشفى والمرضات، في حين لايمك خدم المستشفى شهادة خبرة^(٣٥)، علماً أن الحكومة البريطانية، طلبت من المندوب السامي البريطاني في باكستان العمل بسرعة للحصول على موافقات الحكومة السعودية لتمكين البعثة من العمل في المملكة العربية السعودية، مع اغاء اعضائها من رسوم الحج والكمرك، والسماح للبعثة بأن تجلب معها ادوية ومؤونة، قد تحتاج اليها في المملكة ، فضلاً عن ثلاث طاولات، وثلاثة كراسي ستيل نوات ذراعين، مع خزانة واحدة للكتب من دون دفع الضريبة مع اصدار رخص استيراد ، مشيرة الى أن العرف المتبع ، ان تهتم السفارة البريطانية في جدة بالبعثة الماليزية، ووضع المدفوعات على قسائم ترفع الى المملكة من البعثة ومكتب الحج الماليزيين في مكة، ثم مطالبة السفارة باسترداد المبالغ عبر وزارة الخارجية من الحكومة الاتحادية الماليزية^(٣٦)، متوقعة أن "تحذو السفارة الباكستانية هذا الحذو وأن تعمل بالترتيبات نفسها نيابة عن هذه الحكومة"^(٣٧).

في السياق نفسه، كشفت البرقية نفسها، عن أن اعضاء البعثة الطبية الماليزية سيتقاضون رواتبهم وفقاً لقوائم رواتبهم، مشيرة الى أن المبالغ التي ستدفع لاعضاء البعثة، سيكون مقدارها الآتي:

الجدول (٢) رواتب اعضاء البعثة الطبية الماليزية

ت	الاسم	الوظيفة	البذل الشهري في المملكة العربية السعودية
١-	حاجي عباس بن حاجي الياس	طبيب	٤٠٠ دولار
٢-	حاجي مختار ياسين	مندوب الحج الماليزي	١٥٠ دولار
٣-	محمد راجي بن محمد جالي	مساعد مستشفى	١٠٠ دولار
٤-	سيد اسماعيل بن سيد كريم	مساعد مستشفى	١٠٠ دولار
٥-	محمد بن حاجي سراج	مساعد مستشفى	١٠٠ دولار
٦-	سيد حسن بن سيد علوي	مساعد مستشفى	١٠٠ دولار
٧-	كمارية بنت داريوس	كادر ممرضات	١٠٠ دولار
٨-	سوم بنت محمد نور	مساعدة ممرضة	١٠٠ دولار
٩-	عبد القادر بن سعد	خادم المستشفى	٥٠ دولاراً
١٠-	محمد يتم بن محمد بنان	خادم المستشفى	٥٠ دولاراً
١١-	عبد الغني بن اسماعيل	خادم المستشفى	٥٠ دولاراً
١٢-	انشي سومون بن حاجي عمر	خادم المستشفى	٥٠ دولاراً
١٣-	حاجي علي بن حاجي ابراهيم	طباخ	٥٠ دولاراً

من جانب آخر، اوضحت البرقية نفسها، أن للبعثة الحق بالمطالبة ببذل اقامة عن كل ليلة يقضونها في حالة الخفارة في الحجاز بعيداً عن مقر البعثة الطبية الرئيس في مكة، ولذلك سيقوم مندوب لجنة الحج الماليزية بابلاغ السفارة الباكستانية بالرسوم المستوفاة عند وصوله الى جدة، مشيرة الى أن أعداد الحجيج الماليزيين لموسم عام ١٩٥٧، قد بلغت ٤٧٠٠ حاج، وكان وصولهم على متن السفن الشراعية، وأن توقيتات الوصول الى جدة، هي على وفق الجدول الاتي:

المركب	مغادرة ماليزيا	الوصول الى جدة
أنشون	٢٧ آذار	٨ نيسان
أنشون	٢ مايس	١٤ مايس
أنشون	٣ حزيران	١٦ حزيران
أنشون	١٠ حزيران	٢١ حزيران

وورد في البرقية مطالبة السلطات الباكستانية بتقديم الدعم والمساعدة للبعثة الماليزية (٣٨). في الأحوال كافة، أبدت الدوائر البريطانية، بحسب ماورد عن طريق وثائق هيأتها الدبلوماسية، اهتماماً واضحاً بشؤون الحج، ولاسيما في المناطق التي تشكل اهمية خاصة للسياسة البريطانية، اذ اولت عناية ومتابعة مستمرتين لمواسم حج شهدت وفود حجيج تقع مناطقهم ضمن دائرة الاهتمام البريطاني الى الديار المقدسة لأداء هذه الشعيرة الدينية الواجبة على من يستطيعون اداؤها .

الخاتمة

بينت هذه الدراسة اهمية توافر الخدمات الطبية في أماكن وجود الحجيج الوافدين الى مكة، وما تشكله تلك الأعداد الكبيرة من أهمية كبيرة للمملكة، يأتي في مقدمتها الجانب الاقتصادي، تلك الأعداد التي وفدت من مناطق شتى، والتي كانت تختلف نوعية الخدمات الطبية المتوافرة لها في بلدانها وعدد الامراض المنتشرة فيها، مع الأخذ بالحسبان انتقال تلك الامراض الى أعداد ليست بالقليلة في موسم الحج مما، أدى الى حدوث حالات وفاة بين الحجيج.

وقد اولت بريطانيا تلك الخدمات اهتماماً خاصاً، إذ نقلت الوثائق الصادرة عن هيأتها الدبلوماسية، صورة عما يجري في داخل اراضي المملكة، مع ملاحظة أن كثيراً من هؤلاء الحجيج وفدوا من مناطق تقع ضمن دائرة الاهتمام البريطاني، فأظهرت تلك الهيأت اهتماماً ملحوظاً بالاجراءات التي اتخذتها الحكومة السعودية اثناء موسم الحج، وقد وجهت نقداً واضحاً لتلك الخدمات، ولاسيما في الجانب الصحي الخاص بالحجيج، معبرة عن وجهة نظرها حيال ما قامت به الحكومة السعودية بشأن موسم الحج، ومشككة بمصداقية انجازات عدد من الدوائر الصحية التي تقدم خدماتها للحجيج، ونقلت أخبار المساعدات التي بدأت الولايات المتحدة الامريكية بتقديمها على وفق برنامج "النقطة الرابعة"، في الوقت الذي كان بإمكان القائمين على شؤون الحج القيام بالاجراءات نفسها إذا ما توافرت الهمة والمصداقية، والجد ومكافحة الفساد الداخلي المضر بالمجتمع وتقدمه، الذي اشارت اليه الوثائق البريطانية، التي تابعت ايضاً، وبدقة، نشاط البعثة الطبية الماليزية المتوجهة الى مكة المكرمة، وخدماتها التي قدمتها. واطهرت لنا الدراسة مدى الاهتمام البريطاني بأمر البعثات الطبية الى المملكة التي قدمت خدماتها الطبية الى الحجيج الماليزيين.

هوامش البحث ومصادره

(1) Molly Izzard, The Gulf Arabia's Western Approaches, London, 1966,P.55.

(2) هاشم الدباغ، الوضع الاقتصادي والمالي في المملكة العربية السعودية، "التجارة (مجلة)"، الجزء الرابع، كانون الاول ١٩٦٣، ص٥.

(3) المصدر نفسه، ص٦.

(٤) طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز (١٩١٦-١٩٢٥) دراسة في الاوضاع السياسية ، ط١، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٢، ص ١١٩.

(٥) عبد المنعم الغلامي، الملك الراشد، جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٤، ص ٢٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٣.

(٧) وكالة متخصصة في الامم المتحدة تأسست عام ١٩٤٨ ومقرها جنيف، تهدف الى زيادة التعاون الدولي لتحسين الظروف الصحية. وعلى الرغم من محدودية مهامها، المتعلقة بالسيطرة على الاوبئة الستة وهي: الملاريا، والجدام ، والحمى القوقعية ، وداء الخيطيات ، وليفشمانيايسيس، ومرض النوم ، فضلا عن الحجر الصحي، ومعايير الادوية، وهي المهام التي ورثتها عن منظمة الصحة التابعة لعصبة الامم التي تأسست عام ١٩٢٣، والمكتب العالمي للصحة العالمية في باريس (تأسس عام ١٩٠٧)، فأنها مُنحت تفويضاً واسعاً للحصول على " أعلى معايير الصحة الممكنة" لجميع الناس. للتفصيل، ينظر: ادارة الاعلام العام، حقائق أساسية عن الامم المتحدة، نيويورك، ١٩٨٠، ص ٢١١.

(٨) Records of the Hajj. A Documentary History of the pilgrimage to Mecca , Vol.9 , Health Affairs and the Hajj, Archive Editions, London, 1993,P.781.

وسنرمز له لاحقا (R.H)

(٩) R.H, Report , No.396/5/25/51, from U.S. Embassy (Jadda) to Department of State , June 7 , 1951,P.781.

(١٠) Ibid., P. 783.

(١١) R. H , Health Instructions Concerning pilgrims' Houses, P.782.

(١٢) Ibid.

(١٣) Ibid.

(١٤) R. H, Report , No.886a. 413/8/- 1651 , from Jefferson Caffery to Department of State , August 16 , 1951,P.783.

(١٥) Ibid.

(١٦) British Residency (Bahrain) , Report . No. (17928/1/52) , from W.G. Moody (Bahrain) to the Chief Convention & Quarantine Service , World Health Organisation , palais des Nations , Geneva, 18 February , 1952 ,P.784.

(١٧) Ibid.

(١٨) كمران: جزيرة تقع قبالة الساحل الغربي للصليف، وهي احدى جزر الجمهورية اليمنية. ينظر: كمران

<http://www.britannica.com/place/kamaran>

(١٩) الطور: ميناء يقع على الساحل الشرقي لخليج السويس. ينظر

<http://www.britannica.com/place/Al-Tur>

(٢٠) سواكن: مدينة تقع في شمال شرقي السودان على الساحل الغربي للبحر الاحمر. ينظر : سواكن

<http://www.britannica.com/place/sawkin>

(21) R.H, Health Instructions , Report , No. 1798/9/52, from British Embassy (Jadda) to Foreign Office (London) , 12th May , 1952,p.787.

(22) Ibid.

(23) R. H, British Residency (Bahrain) , Letter . No. (17928/8/52) , from W.J. Moody (Bahrain) to the Chief Convention & Quarantine Service , World Health Organisation , 12th May , 1952,p.784 .

(24) Ibid , Port of London – Health Authority , Report to Middle East Secretariat . Foreign Office , 6th August , 1952.

(25) Ibid., P.788.

(26) British Embassy (Djakarta) , Tel . A. 1782 /10/52 , to South East Asia Department , Foreign Office (London) , 23rd October , 1952,p789.

(27) F.O., 371 / (Es1781 /32) , Confidential Tel . from Foreign Office , S.W.1. (London) , to British Embassy (Jadda) , September 29 , 1953 .

(28) R. H, Confidential Tel. No. 1785/44/53 , from British Embassy (Jedda) to Eastern Department , Foreign Office (London) , October 17, 1953,P.793.

(29) Ibid .

(30) Ibid, Tel. No. 203 , from American Embassy (Jedda) to the Department of State (Washington) , June 2 , 1956,P.794.

(٣١) برنامج النقطة الرابعة: هو برنامج أمريكي للمساعدات التقنية مخصص للدول النامية، ولاسيما في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. وقد اعلن عن هذا البرنامج لأول مرة في خطاب الرئيس الامريكي هاري ترومان (Harry S. Truman) في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٩ بمناسبة توليه منصب الرئاسة لدورة رئاسية ثانية، وحصلت موافقة الكونغرس الامريكي على البرنامج في ٥ تموز ١٩٥٠، وخصص مبلغ ٢٥ مليون دولار للسنة المالية ١٩٥١-١٩٥٢ . ينظر:

Henry Stell Commager (ed.), Documents of American History, New York , 1963 , PP.553-555.

(32) F.O., 371 / (1781 /5/54), Letter , from British Embassy (Jedda) , to Eastern Department , Foreign Office (London) March 13 , 1954,P.794.

(33) R.H , Tel. No. 78, from Commonwealth Relations office (London) to U. K. High Commission in Pakistan , 28th March , 1957 .

(34) Ibid .,P.801

(35) Ibid .,P.802

(36) Ibid .

(37) Ibid .

(38) Ibid .